من كنوز العربية

المعجم في فقه اللغة

دكتور

السيد محمد محسب

مدرس أصول اللغه بجامعة الأزهر

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

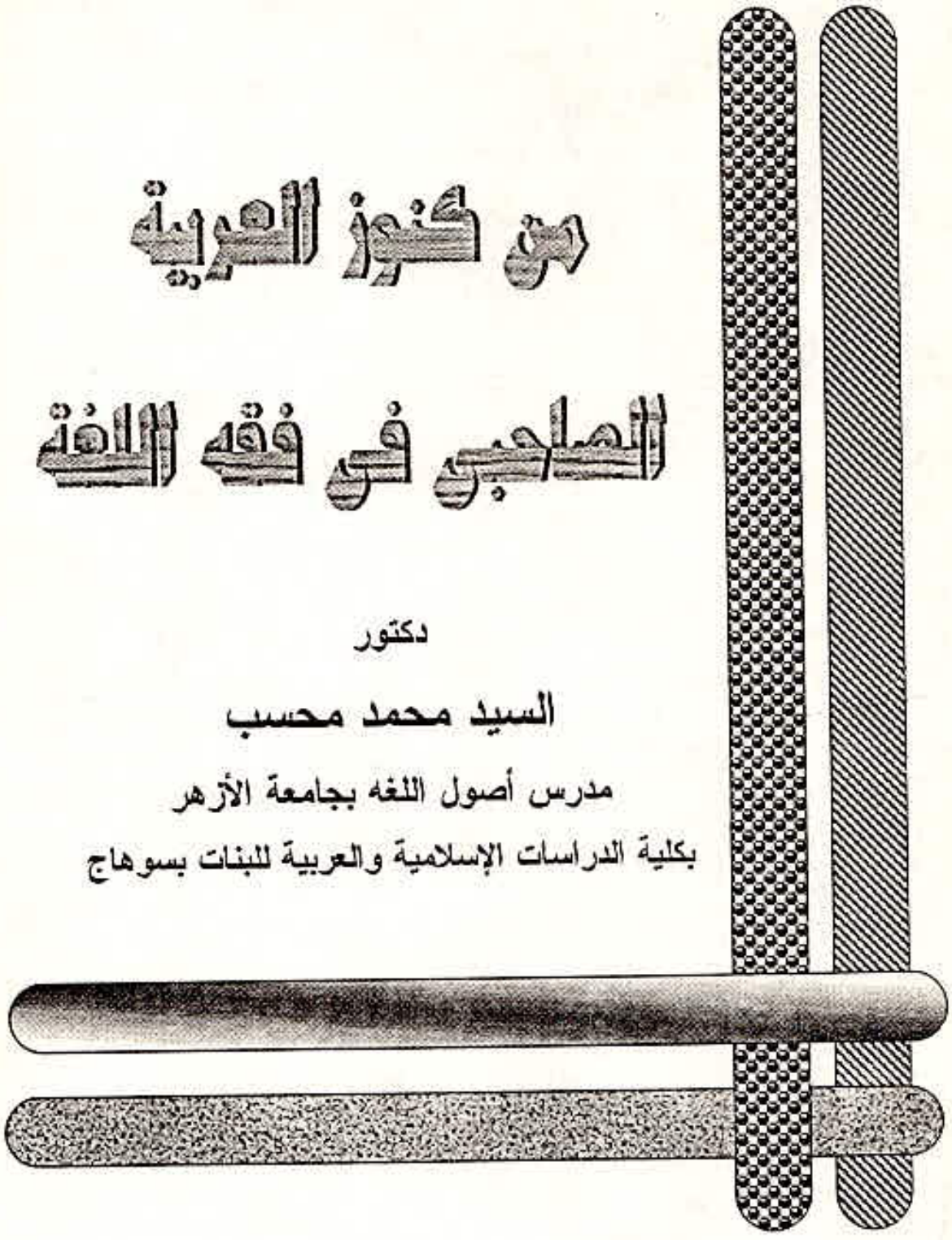

من كنوز العربية

الصحابى فى فقه اللغة لأبن فارس

مؤلف الصحـــابى :

هـو أبـو الحسـن أحمـد بـن فـارس بـن زكريـا ، لا يعـرف علـى وجـه القطـع موطنـه الأصلـي كمـا لا تعـرف سنة ولادتـه فقيـل ولـد بقزويـن ، ونشـأ بـالرى وقيـل : إن أصله همذان ، ورحـل إلـى قزويـن ، ثـم حمـل إلـى الـرى ليقرأ عليه مجـد الدولـة أبـو طـالب بـن فخـر الدولـة علـى بـن ركـن الدولـة بـن بويـه الديلمـى وأقـام بـالرى بقيـه حياتـه . وتوطـدت علاقتـه بالصـاحب بـن عبـاد وكـان من ثمـار هـذه العلاقـة الكتـاب الـذى نحـن بصـدد الحديـث عنه [١] وقـد سـماه الصـاحبى .

ذكر فـى المقدمـة مشـيراً إلـى سـبب التسـمية وإنمـا عنونتـه بـهذا الاسـم ، لأنـى لمـا ألفتـه أودعتـه خزانـة الصـاحب الجليـل كـافى الكفـاة ـ عمـر الله عِـراص العلـم والأدب والخـير والعـدل بطـول عمـره ـ تجمـلا بذلـك

---

(١) أنظر ترجمة ابن فارس فى أنباه الرواة / ٩٥ ، بمعجم الأدباء ٨٩/٤

وتحسنا إذا كان ما يقبله كافى الكفاة من علم وأدب مرضيا مقبولاً ، وما يرد له أو ينفيه منفيا مرزولاً ، ولأن أحسن ما فى كتابنا هذا مأخوذ عنه ومفاد منه [٢] هذا ولأبن فارس شعر ونثر ، وله كثير من المؤلفات تقارب الخمسين ومنها الكتاب الشهير مقاييس اللغة، والفرق والمذكر ، والمؤنث وفتيا فقيه العرب ـ والإتباع والمزاوجة ، والمجمل ...الخ .

وتوفى أبن فارس فى سنة ٣٩٥ هـ فى المحمدية بمدينة الرى ودفن بها مقابل مشهد القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى .

أبن فارس أول من أطلق مصطلح فقه اللغة

لم نعثر على ما يشير إلى أن أحداً استعمل كلمة فقه اللغة قبل أبن فارس فإليه يرجع استعمال هذا المصطلح ويبدو أن أبن فارس استمد هذه التسمية من علم أصول الفقه فكما أن الفقه فهم لأحكام الشرع ،

---

(٢) الصحابى تتحقيق السيد محمد صقر طبعة دار إحياء الكتب العربية

ومعرفة بقواعده وإحاطة بمسائله ، ودراية بقضاياه ، ومن يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين . فما المانع أن يكون فقه اللغة فهما لمسائل اللغة وإلماماً بظواهرها وعلماً بأسرارها وخفاياها.

ثم تردد هذا المصطلح فى كتاب الثعالبى فقه اللغة وسر العربية ؛ ٣٥٠ـ ٤٢٩ هـ . (٣)

كتاب الصحابى

يعد من الكتب اللغوية القيمة التى تحظى بمكانه مرموقة وسط كتب التراث التى أولت أهتماماتها بالدراسة اللغوية فإن اختياره لعبارة فقه اللغة يشير إلى الدراسة العلمية الفاحصة التى تبحث عن الظواهر والقضايا والخصائص اللغوية .

لقد بين ابن فارس فى صدر كتابه أن " لعلم العرب أصلا وفرعا " وبين أن الأصل يتناول " موضوع اللغة وأوليتها ومنشأها " " ورسوم العرب فى

---

(٣) هو أبو منصور عبد الله بن محمد بن إسماعيل النيسابورى الثعالبى له من المؤلفات ما يقارب الأربعين ٤٢٩هـ ابن خلكان ١/٢٩٠

مخاطباتها وما لها من الافتنان فى كلامها " سواء أكان ذلك عن طريق الحقيقة أم عن طريق المجاز .

" أما الفرع فهو معرفة الأسماء والصفات كقولنا : رجل وفرس وطويل وقصير وهذا هو الذى يبدأ به عند التعلم "

ويضرب ابن فارس مثلا يبين به منزلة كل من الأصل والفرع فيقول :

والفرق بين معرفة الفروع ومعرفة الأصول أن متوسما بالأدب لو سئل عن الجزم (٤) والتسويد (٥) فى علاج النوق فتوقف أوعى به ، أولم يعرفه لم ينقصه ذلك عند أهل المعرفة نقصا شائنا لأن كلام العرب أكثر من أن يحصى .

ولو قيل له : هل تتكلم العرب فى النفى بما لا تتكلم به فى الإثبات ؟ ثم لم يعلمه ـ لنقصه ذلك فى شريعة الأدب عند أهل الأدب لا أنّ ذلك يردى دينه أو

---

(٤) الجزم : شئ يدخل فى حياء الناقة لتحسبه ولدها فترأمه . تاج العروس " لسان العرب مادة : جزم "

(٥) التسويد : دق الكساء البالى من الشعر لتداوى به أدبار الأبل اللسان مادة :سود

يجره لما ثم . كما أن متوسما بالنحو لو سئل عن قول القائل :

لهنك [٦] من عبسية لو سيمة ...على هنوات كاذب من يقولها [٧]

فتوقف أو فكر ، أو استمهل ـ لكان أمره فى ذلك عند أهل الفضل هينا .

لكن لو قيل له مكان لهنك ما أصل القسم ؟ وكم حروفه ، وما الحروف الخمسة المشبهة بالأفعال التى يكون الاسم بعدها منصوبا وخبره مرفوعا ؟ فلم يجب ـ لحكم عليه بأنه لم يشام صناعة النحو فقط فهذا الفصل بين الأمرين [٨] ويوضح ابن فارس أن الناس فى ذلك رجلان : رجل شغل بالفرع فلا يعرف غيره وآخر جمع بين الأمرين معا وهذه هى الرتبة العليا ،لأنه بها يعلم خطاب القرآن والسنة وعليها يقول أهل النظر والفتيا ، وذلك أن طالب العلم العلوى يكتفى من أسماء الطويل باسم الطويل ولا

---

(٦) كلمة تستعمل للتوكيد وأصلها : لأنك ، الوسيمة : الجميلة الهنوات جمع هنه : اللفظة القبيحة .

(٧) الصاحبى ٥، قرأته الأدب ٤/٣٣٤ والدرر اللوامع ١١٨

(٨) الصحابى ٥

يضيره ألا يعرف الأشق والأمق (٩) وإن كان في علم ذلك زيادة فضل . وإنما لم يضره خفاء ذلك عليه ، لأنه لا يكاد يجد منه في كتاب الله جل ثناؤه شيئا فيحوج إلى علمه ، ويقل مثله أيضا في ألفاظ رسول الله ـ ﷺ ـ إذ كانت ألفاظه ـ ﷺ ـ هي السهلة العذبة .

ولو أنه لم يعلم توسع العرب في مخاطباتها لعى بكثير من علم محكم الكتاب والسنة قول الله عز وجل ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ﴾ (١٠)

إلى آخر الآية . فسر هذه الآية في نظمها لا يكون بمعرفة غريب اللغة ، والوحشي من الكلام وإنما معرفته بغير ذلك مما لعل كتابنا هذا يأتي على أكثره بعون الله تعالى :

---

(٩) الكلمتان معناهما : الطويل ينظر اللسان مادة شق

(١٠) سورة الأنعام الآية ٥٢

وهكذا يفرق ابن فارس بين الفرع والأصل ويبدو أنه أراد من الأصل فقه اللغة وإن لم يصرح به فقد جعل له الأهمية وأشار إلى أن كثيراً منه جاء فى كتابه .

ومن العبارات التى يصرح بها بأصول اللغة قوله : إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب ، حتى لا غناء ، بأحد منهم عنه ، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب ورسول الله ـ ﷺ ـ عربى فمن أراد معرفة ما فى كتاب الله جل وعز وما فى سنة رسول الله ـ ﷺ ـ من كلمة غريبة أو نظم عجيب لم يجد من العلم باللغة بدا .

ولسنا نقول إن الذى يلزمه من ذلك الإحاطة بكل ما قالته العرب ، لأن ذلك غير مقدور عليه ، ولا يكون إلا لنبى ، بل الواجب علم أصول اللغة والسنن التى بأكثرها نزل القرآن وجاءت السنة (١١)

---

(١١) الصحابى ٥٠

فنجده يشير إلى أهميه علم أصول اللغة وما له من طرق فى التعبير ووسائل فى الخطاب .

ويلاحظ أنه يقول : علم أصول اللغة وهو بهذا يحاكى علم أصول الفقه ولعلة يريد أن يقارن بينهما مع الفارق فى مجال كل منهما ، وهذا أمر ليس بمستبعد فقد قارن ابن جنى المتوفى ٣٩٢ هـ بينهما يقول : « لم نر أحد من علماء البلدين " الكوفة والبصرة " تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه ، فأما كتاب الأصول لأبى بكر [١٢] فلم يلم فيه بما نحن عليه إلا حرفا » أو حرفين فى أوله . .. على أن أبا الحسن " الأخفش" قد كان صنف فى شئ من المقاييس كتيبا ، إذا أنت قارنته بكتابنا هذا علمت بذاك أنانبنا عنه فيه ، وكفيناه كلفة التعب به [١٣]

---

(١٢) أبو بكر السراج " محمد بن السرى ٣١٦هـ النحويين واللغويين للزبيدى ٧١٢

(١٣) الخصائص ٢/١

وهذا أيضا مما يرجح ما سبقت الإشارة إليه من أن ابن فارس قد إستوحى هذه التسمية من علم أصول الفقه .

ومن ناحية أخرى فإن ابن فارس يركز على رسوم اللغة فى المخاطبة ، وعلى نظمها مما هو من أصول العربية ، والتهوين من شأن الألفاظ بالنسبة لهذه الأصول إن ما يصنعه ابن فارس قريب فى الإحساس باللغة ، وبموضع الأهمية منها بما يقوله العلماء المحدثون من الاهتمام بالعلاقات الداخلية للغة أو ما يسمونه الأنماط التى على أساسها يكون التمييز بين لغة ولغة .

موضوعات الصحابى

اشتمل الكتاب على مجموعة قيمة من موضوعات اللغة والأدب والبلاغة والنحو والصرف والعروض والشعر ونحو مما دونه العلماء السابقون .

ويتواضع العلماء يبين أبن فارس أنه لم يكن مبتكراً ولا مجدداً ، وإن كان له فضل فحسبه أنه بسط

المسائل وفصل المختصر ، وجمع المتفرق ، وشرح المشكل ، أو أوجز القول فيما رآه مطولاً يقول :

" والذى جمعناه فى مؤلفنا هذا مفرق فى أصناف مؤلفات العلماء المتقدمين رضى الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء " .

ثم يقول : " وإنما لنا فيه اختصار مبسوط ، أو بسط مختصر أو شرح مشكل ، أو جمع متفرق" (١٤) جزى الله ابن فارس أفضل الجزاء وأثابه كثيرا عما فعل .

لقد قاربت أبواب الكتاب الستين بعد المائة وتتسم أبوابه بقصرها وتنوعها ، ويبدو أنه أراد بذلك أن يستقصى الموضوعات والخصائص دون أن يتناولها بالتفصيل ، ويتتبع جزئياتها بالدرس والإسهاب .

---

(١٤) الصحابى ٥

ويمكن أن يقسم الكتاب بصفة عامة إلى قسمين :

القسم الأول :

يتناول هذا القسم مجموعة من الأبواب تتناول حياة اللغة عامه نشأتها ، وماهيتها ، وقيمتها ومذمومها ، وهو حين يتكلم عن اللغة يعنى اللغة العربية ، كذلك يشير إلى اللغة التى نزل بها القرآن الكريم ويبدأ هذا الجزء من أول الكتاب متناولاً ما سبق بالإضافة إلى أبواب أخرى .

إن هذا القسم يتحدث فيه ابن فارس عن نشأة اللغة أهى توقيف أم اصطلاح ؟ ويرى أنها توقيفية (١٥) ويسوق الأدلة على هذا ، ويتحدث عن

---

(١٥) هناك نظريات متعددة حول نشأة اللغة منها :

١ــ نظرية التوقيف : وتعنى أن اللغة وهى من عند الله ـ وقد قيل بها قديما وحديثا من مسلمين وغيرهم وكل أدلة ساقها ليدعم بها رأية . ولكن الأدلة جميعها سواء أكانت نقلية أم عقلية لا تنهض حجة لإثبات النظرية .

ب- نظرية المواضعة : وتعنى أن الإنسان هو الذى وضع كلمات اللغة الإنسانية الأولى ، وبها قال كثير من اللغويين ، وقد تحدث عنها كتاب بن جنى فى كتاب الخصائص ١/٤٤" ولكن الأدلة التى ساقها أصحاب هذه النظرية لم تسلم من النقد والاعتراض مما جعلها كسابقتها .

الخط العربي وأول من كتب به ، ويرى أنه آدم عليه السلام ، وهو أى الخط في رأيه توقيف أيضا كما أنه يقول بأفضلية اللغة العربية وأنها من أوسع اللغات ، ويسوق الأدلة التى تساند دعواه وعنده أن لغة العرب لا يحيط بها إلا نبى .ولقد سبق به الإمام الشافعى رضى الله عنه ثم يتحدث فى باب عقدة للقول فى

= جـ نظرية الإشارة : وتعنى أن الإنسان استعمل الإشارة قبل الكلام بل إن بعض المتطرفين من أصحاب هذه النظرية يذهب إلى أن الكلام متأخر جداً عن الإشارة (حوالى ٣٥٠٠ سنة ق.م) وإنه اتخذ من الكتابة التصويرية المبكرة ـ المأخوذة ـ فيما يقال عن لغة الإشارة ، وهذا كلام غير معقول ،إذ كيف يتصور قيام حضارة متطورة دون استخدام لغة .

د : نظرية الأصوات الجماعية : وفحواها : أنه عندما تؤدى جماعة عملاً يدوياً شاقاً يصدر عنها بعض الأصوات المنطوقة التى تشمل على صوائت وصوامت ، ثم تطورت هذه الأصوات ، ومن المآخذ التى أخذت على هذه النظرية أنها تفترض وجود شكل متقدم من التعاون الجماعى .

هـ نظرية المحاكاة ومفادها أن اللغة نشأت من محاكاة الأصوات الطبيعية ولكن هذه النظرية لا تفسر إلا كلمات قليلة جداً ، وتعجز أن تفسر مبدأ كيف أستقل حكاية الصوت ؟

هذا ولمن أراد الاستزادة فعليه الرجوع إلى المزهر للسيوطى ٨/١ وما بعدها ، اللغة ج. فندريس ترجمة الأستاذين عبد الحميد الدواخلى ، ومحمد القصاص ، دلالة الألفاظ ـ د.إبراهيم أنيس ـنشأة اللغة عند الإنسان والطفل ـ د. على عبد الواحد وافى ، العربية : خصائصها وسماتها د. عبد الغفار هلال ، فقه اللغة د. نلجح مبروك ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربى د. محمود السعران ، كتابنا : علم اللغة بين النظرية والتطبيق ، الوجيز فى فقه اللغة ٤٩ وما بعدها لمحمد الأنطاكى ، فلسفة اللغة ٢١ كمال يوسف الحاج .

اختلاف لغات العرب [١٦] . ويرى أن هذا الاختلاف من وجوه :

١ـ منها ما يعود إلى الحركات نحو نستعين يفتح نون المضارع وكسرها ونقل عن الفراء أن الفتح لغة قريش وأسد ، وغيرهم ينطقها بالكسر .

٢ـ الاختلاف فى الحركة والسكون نحو معكم بسكون العين وفتحها .

٣ـ الاختلاف فى إبدال الحروف نحو أولئك والالك ونحو أن زيدا وعن زيدا .

٤ـ الاختلاف فى الهمز والتليين (التسهيل) نحو مستهزئون ومستهزون .

٥ـ فى التقديم والتأخير نحو صاعقة وصاقعة .

٦ـ فى الحذف والإثبات نحو استحيت واستحييت وصددت وأصددت .

---

(١٦) ص ٢٨ وما بعدها

٧ــ الاختلاف فى التذكير والتأنيث فإن من العرب من يقول هذه البقر ومنهم من يقول هذا البقر وهذه النخيل وهذا النخيل .

٨ــ الاختلاف فى الإدغام نحو : مهتدون ومهدون .

٩ــ الاختلاف فى الإعراب نحو ما زيد قائما وما زيد قائم .

١٠ــ ومنها الاختلاف فى الوقف على هاء التأنيث مثل هذه أمه وهذه أمت

١١ــ الاختلاف فى الزيادة نحو أنظر وأنظور .

ويقول هذه اللغات مسماة منسوبة إنى أصحابها ، لكن هذا موضع اختصار ، وهى وإن كانت لقوم دون قوم فإنها لما انتشرت تعاورها كل [١٧] وتشير بهذا إلى تداخل اللهجات بسبب الانتشار كما

---

(١٧) الصحابى ٣١

يبين أن تلك اللهجات كانت معروفة ومعزوة إلى أصحابها .

١٢ـ ومن الاختلاف ـ اختلاف التضاد وذلك قول حمير للقائم : " ثب " أى أقعد .

وهكذا يستعرض ابن فارس الفروق الناشئة عن اختلاف اللهجات ، ويرجعها إلى الناحية الصوتية ، أو النحوية ، أو الدلالية .

ثم يتبع هذا الباب باباً آخر يبين فيه أن قريشا هى أفصح العرب ، فهم أهل الله جعلهم رهط نبيه الأدنين وعترة الصالحين (١٨)

ويمضى ابن فارس فى الحديث عن اللغة التى بها نزل القرآن وأنه ليس فى كتاب الله شئ يغير لغة العرب (١٩)

ويتحدث ابن فارس عن الطريقة التى بها تتعلم اللغة فيرى أنها تؤخذ بالاعتياد والتلقين

---

(١٨) الصاحبى ٣٣

(١٩) السابق ٤١

يقـول : تؤخـذ اللغـة اعتيـاداً ، كـالصبى العربـى يسـمع أبويـه وغيرهمـا ، فـهو يـأخذ اللغـة عنـهم علـى مـر الأوقـات وتؤخـذ تلقنـا عـن ملقـن وتؤخـذ سـماعا مـن الرواة الثقـات ذوى الصـدق والأمانـة ويتقـى المظنـون .

ويـروى عـن الخليـل أنـه قـال :" أن التحـارير ربما أدخلوا علـى النـاس مـا ليـس مـن كـلام العـرب إرادة اللبـس والتعنيـت" (٢٠)

قلنـا فليختـر آخـذ اللغـة وغيرهـا مـن العلـوم أهـل الأمانة والثقـة ، والصـدق والعدالـة .

وهنـا نلاحـظ أن ابـن فـارس يشـير إلـى طـرق تعلـم اللغـة وهـى تنحصـر فـى السـماع سـواء مـن الأبويـن ، وهـذا فـى طـور النشـأة حيـن يسـمع الصبـى اللغـة ممـن حولـه

أو يسـمعها عـن طريـق التلقيـن وهـذا يـأتى فـى طور متـأخر نسـبياً .

---

(٢٠) السحابى ٤٨ ، التحرير ، العالم المتقن ، والتغيت : المشقة والزام ما يصعب أداؤه

أما الأمر الثالث فهو روايتها التى ـ تحتم أن تكون عن طريق أهل الصدق والأمانة على الراوى أن يتحاشى أهل الظنة والمطعون فى ذمتهم .

ثم يتحدث عن الاحتجاج بلغة العرب فى تفسير النصوص [٢١] ثم يذكر الاشتقاق فى اللغة ، وبسمية القياس ويوضح أن العرب يرجعون المعنى إلى الأصل الذى ترجع إليه الكلمة ، فيقول : " أجمع أهل اللغة إلا من شذ منهم أن للغة العرب قياساً وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان وأن الجيم والنون تدلان أبدا على الستر .[٢٢]

ثم يعقد بابا بعنوان " باب الأسباب الإسلامية " [٢٣] وفيه يشير إلى أن اللغة تتطور وتتأثر بالمتغيرات والأحوال التى تمر بها الحياة الاجتماعية والأسباب السياسية والدينية والاقتصادية

---

(٢١) السابق ٤٩

(٢٢) السابق ٥٧

(٢٣) السابق ٧٧

فكل هذه الأمور من شأنها أن تحدث تأثيرا كبيراً في اللغة فالعرب في جاهليتهم كانوا على إرث من آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم ، فلما جاء الإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع آخر بزيادات زيدت ، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت ، فعفى الآخر الأول . ... فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق

وتتضح في هذا القسم عدة مبادئ نجملها في التالى :

١ــ الغرض من دراسة اللغة هو التعليم لكى لا يخطئ الناس في استعمالها أو في فهم نصوصها وخاصة نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف .

٢ــ يجب التمسك بأساليب اللغة وأن نقيس على ما قاسوا ، فليس لنا أن نخترع ، ولا ان نقول غير ما قالوه ، لأن في ذلك فساد اللغة أو بطلان حقائقها ، وهذا القول مبنى على أساس اعتقاده أن اللغة توقيف من عند الله ، نزلت على آدم عليه السلام . أو الأنبياء

من بعده وعلم الله منهم ما شاء أن يعلمه ، حتى انتهى الأمر إلى سيدنا محمد ﷺ.

٣ـ القول فى أفصح العرب : فيرى أن قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة وذلك لأسباب ذكرها ابن فارس ، منها إجماع العلماء ، بكلام العرب والرواه لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم على ذلك ، فلقد اختارهم الله واصطفاهم ، وإختار منهم نبى الرحمة محمداً .كما أنهم قطان حرمه وجيران بيته الحرام . وولاته [٢٤]

٤ـ اختلاف اللهجات بين فيه وجوه نختلافهما [٢٥] كما أشار إلى اللهجات المذمومة [٢٦] وأن اختلاف اللغات لا يقدح فى الأنساب [٢٧]

٥ـ ووجود أكثر من لغة يدفع الدارس إلى المقارنة .[٢٨]

---

(٢٤) الصحابى ٣٣

(٢٥) السابق ٢٨

(٢٦) السابق ٣٥

(٢٧) السابق ٣٨

٦ــ اللغــة دائمــا تتطــور وتتــأثر بمــا يجـــرى فـــى الحياة الإنســـانية ، وقــد أشــار ابــن فــارس إلـــى هــذا عنــد حديثه عـــن الأســباب الإســلامية (٢٩)

القسم الثـــانى :

يشــتمل القســم الثــانى مــن كتــاب الصحــابى علـــى مجموعة مــن الأبــواب تتنــاول خصــائص العربيــة .

١ــ خصــائص نحويــة

كتقسيم الكلام إلـــى إســم وفعــل وحــرف (٣٠)

وأقســام أخــرى ،ومــن أبــواب هــذا القســـم البـــاب الكبــير بــاب الحــروف التــى بدأهــا بــالألف وأنــهاها بالبـــاء وقــد أفــاض فــى الحديــث عـــن الحـــروف :وأنواعـــها : اســتعمالها : معناهــا : أصالتــها وزيادتــها .

---

(٢٨) السابق ١٦

(٢٩) السابق ٧٨

(٣٠) السابق ٨٩

فمثلاً اللام تقع زائدة وتكون مفتوحة وتكون مكسورة وإذا كان تحدث عن حروف المباني فلم يفته الحديث عن حرووف المعاني [٣١] على الترتيب السابق .

٢ ـ خصائص بلاغية : ـ

ونجدها في أبواب : معاني الكلام [٣٢] والحديث في أقسامه عن الخبر والاستخبار ، والأمر والنهى ، الخ والثاني معاني ألفاظ العبارات التي يعبر بها عن الأشياء ويرجعها إلى المعنى والتفسير والتأويل ثم الخطاب منه المطلق والمفيد والثالث هو سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز والاستعارة والحذف والاختصار والزيادة والتكرار ، والتقديم والتأخير والعموم والخصوص وإضافة الشيء لغير فاعله والواحد يراد به الإثنان أو الجمع . والالتفاف والتعبير بالماضي عن المستقبل والعكس والذكر والحذف . ... الخ

---

(٣١) السابق ٢٨٩

(٣٢) السابق ٢٨٩

٣- خصـــائص صرفيـــة :

وعقـد لـها بـاب معـانى أبنيـة الأفعـال [٣٣] مـن ذلـك فعلـت يكـون بمعنـى التكثـير ، وبمعنـى أفعلـت وقـد يتضـادان نحـو أفرطـت أى جـاوزت الحـد ، وفرطـت أى قصـرت . وقـد يكـون أفعـل بمعنـى فعلـت . وقـد يتضـادان نحو نشـطت العقـدة : عقدتـها وأنشـطتها إذ حللتـها [٣٤]

كمـا يعقـد وبـاب الفعـل الـلازم والمتعـدى ، والبنـاء الـدال علـى الكـثرة نحـو فعـول وفعـال ومفعـال . وبـاب الإضمـار سـواء فـى الأسـماء أو الأفعـال أو الحـروف

٤ـ خصـائص تتصـل بـالنظم : ـ

مـن ذلـك بـاب النظـم الـذى جـاء فـى القـرآن كالتقديم . والتـأخير والإعـتراض فـى الحمـل والإتبـاع .

هـذه خلاصـة موجـزه لكتـاب الصحـابى فـى فقـه اللغـة ويبـدو مـن العـرض أن موضوعاتـه تتصـل بصفـة

---

(٣٣) السابق ٢٦٩

(٣٤) السابق ٢٦٩

مباشرة باللغة ومسائلها المتنوعة ، ولكن كثيراً من موضوعاته لا تدخل تحت مفهوم فقه اللغة المتعارف عليه فى عصرنا الحالى كمسائل البلاغة مثلا .

هذا ونلاحظ أن ابن فارس فى حديثه فى القسم الأول الخاص بحياة اللغة كان مجيداً فياضاً لقد عرض كثيراً من الموضوعات ذات الأهمية الكبرى مثل إعجاز القرآن واستحالة ترجمته بإيجازه ، وإعجازه وخصائص العربية ، واللغات المذمومة ولغة القرآن ، وغير ذلك مما أضفى عليها من بيانه ما جعلها واضحة نافعة وافيه بالغرض .

أما ما كتبه فى النحو والبلاغة والأدب فهو على قلته واف بالمطلوب وإن كان فى بعض الموضوعات مختصر لدرجة الإخلال .

ويبدو ابن فارس فى كل موضوعات الكتاب على اختلافها وتنوعها ، عالما لغويا بمعنى أنه كان يعالجها من ناحية اللفظ أو اللفظ والمعنى فلا غرابة إذا اعتبرنا هذا الكتاب من الكتب التى اصطلح العلماء على تسميتها بكتب (فقه اللغة) فمؤلفه عالم لغوى

فقيه في لغته والكتاب يشتمل على موضوعات تفقه القارئ فيها .

نماذج من كتاب الصاحبي

باب الخطاب يأتي بلفظ المذكر أو لجماعة الذكران (٣٥) إذا جاء الخطاب بلفظ مذكر ولم ينص فيه على ذكر الرجال ، فإن ذلك الخطاب شامل للذكران .والإناث ، كقوله جل ثناؤه ﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ .(٣٦)

كذا تعرف العرب هذا .

فإذا قال القائل : هذا لقوم من بني فلان ، فقد ذهب أكثر أهل اللغة إلى أن القوم للرجال دون النساء (٣٧)

---

(٣٥) الصاحبي ١٠٥

(٣٦) سورة البقرة الآية ٢٧٨

(٣٧) مفردات الراغب ٦٩٣ لسان العرب مادة : ف و م والمذكر والمؤنث لأبن الأنباري ٥٤٦، طبقات الزبيدي ١٠٨

فسمعت علي بن إبراهيم القطان يقول سمعت ثعلبا يقول : يقال امرؤ وامرآن وقوم " وامرأة وامرآتان ونسوة .

وسمعت عليا يقول : سمعت المفسر يقول : سمعت عبد الله بن مسلم يقول : القوم للرجال دون النساء ثم يخالطهم النساء فيقال : هؤلاء القوم قوم فلان "

ولا يجوز للنساء ليس فيهن رجل : " هؤلاء قوم فلان ولكن يقال : هؤلاء من قوم فلان ، لأن قومه رجال والنساء منهم . ثم يبين ابن فارس سبب التسمية فيقول :

وإنما سمى الرجال دون النساء قوما ، لأنهم يقومون في الأمور ، وعند الشدائد يقال : قائم وقوم . كما يقال زائر وزور [٣٨] وصائم وصوم ونائم ونوم .

---

(٣٨) يقال رجل زائر وقوم زور نحو سافر وسفر وقد يقال رجل زور فيكون مصدرا موصوفا به فلايثنى ولا يجمع انظر فصيح ثعلب ٢٨٨ ، ومجالس ثعلب ٩٦/١

ومثلـــه النفـــر : لأنـــــهم ينفـــرون مـــع الرجـــل إذا استنفرهم قـــال : امـــرؤء القيـــس

فهـــو لاتنـــــمى رميتـــــه ماله لاعد من نفره (٣٩)

ومـمـــا يـــدل علـــى أن القـــــوم للرجـــال دون النســـــاء قول زهـــير:

وما أدرى وسوف إخال أدرى أقوم آل حصن أم نساء (٤٠)

---

(٣٩) يقول : لا تجوز الموضع الذى رماها فيه حتى تموت .أنظر تاج العروس ٣٧٨/١٠

(٤٠) قابل بين قوم ونساء مما يدل على أن القوم فى الأصل للرجال .ومثل هذه الآية الكريمة " ولا يسخر قوم من قوم ولا نساء من نساء ، سورة الحجرات الآية ١١ ينظر النحو المحيط ١١٢/٨ هذا والبيت فى ديوان زهير ٧٣

باب أجناس الكلام

في الاتفاق والافتراق

يكون ذلك علـــى وجـــوه :

فمنـــه اختـــلاف اللفـــــظ والمعنـــى وهـــو الأكـــثر الأشـــهر . مثـــل رجـــل ، وفـــرس ، وســـيف ، ورمـــح . ومنـــه اختـــلاف اللفـــظ واتفـــاق المعنـــى ، كقولنـــا ســـيف ، وغضـــب وليث وأسد على مذهبنـــا ، فـــى أن كـــلا منـــها فيـــه مـــا ليـــس فى الآخـــر معنـــى وفـــائدة (٤١)

ومنـــه اتفـــاق اللفـــظ واختـــلاف المعنـــى كقولنـــا عيـــن المـــاء وعيـــن المـــال وعيـــن الركيـــة وعيـــن المـــيزان (٤٢) ومنـــه فـــى كتـــاب الله جـــل ثنـــاؤه " قضـــى بمعنـــى حتـــم كقوله جـــل ثنـــاؤه ﴿ قضـــى عليـــها المـــوت ﴾(٤٣)

---

(٤١) يلاحظ أن ابن فارس ممن ينكرون وقوع الترادف أنظر الصحابى ١١٤

(٤٢) يلاحظ أن ابن فارس يشير بهذا إلى المشترك اللفظى أنظر الصحابى ١١٧

(٤٣) سورة الزمر الآية ٤٢

وقضى بمعنى : أمر كقوله : جل ثناؤه ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ (٤٤) أى أمر ويكون قضى بمعنى : أعلم كقوله جل ثناؤه ﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب ﴾ (٤٥) أى أعلمناهم .

وقضى بمعنى صنع كقوله جل ثناؤه ﴿ فاقض ما أنت قاض ﴾ (٤٦) وكقوله جل ثناؤه ﴿ ثم اقضوا إلى ولا تنظرون ﴾ (٤٧) أى اعملوا ما أنتم عاملون وقضى فرغ ويقال للميت قضى أى فرغ

وهذه وإن اختلفت ألفاظها فالأصل واحد .

ومنه إتفاق اللفظ وتضاد المعنى " الظن " (٤٨) وقد مضى الكلام عنه

---

(٤٤) سورة الإسرا ء الآيه ٢٣

(٤٥) سورة الإسراء الآيه ٤

(٤٦) سورة طه الآيه ٧٢

(٤٧) سورة يونس الآيه ٧١

(٤٨) الظن يأتى بمعنى اليقين والشك والتهمة والحسبان

ومنـــه تقـــارب اللفظيـــن والمعنييـــن كـــالحزم والحـــــزن فـــالحزم مـــن الأرض أرفـــع مـــن الحـــزن . وكـــالخصم وهـــــو بالفم كلـــه ، والقضـــم وهـــو بـــأطراف الأســـنان (٤٩)

ومنـــه اختـــلاف اللفظيـــن وتقـــارب المعنييـــــن وذلـــــك كقولهم مدحه إذا كـــان حيـــاً ، وابنـــه إذا كـــان ميتـــاً .

ومنـــه تقـــارب اللفظيـــن واختـــلاف المعنييـــــن قولنـــــا " حرج " إذا وقع الحـــــرج وفـــزع إذا أتـــاه الفـــزع .

وفـــزع عـــن قلبـــه إذا نحـــى عنـــه الفـــــزع قـــــال الله جـــل ثنـــاؤه ﴿ حتـــى إذا فـــزع عـــــن قلوبـــــهم ﴾ (٥٠) أراد والله أعلم : أخـــــرج منـــها الفـــزع (٥١)

التعليـــق :

يعقـــد ابـــن فـــارس هـــذا البـــاب لبيـــان الوجـــوه التـــــى يســـتعمل عليـــها اللفـــظ ، الأصـــل أن يختلـــف اللفـــظ والمعنـــى

---

(٤٩) يسميه ا ـ جنى اسما الألفاظ أشباه المعانى الخصائص ١٥٧/٢

(٥٠) سورة سبأ الآيه ٢٣

(٥١) النص كله فى الصحابى ٣٢٧

فكل لفظ له معناه ، وله دلالته ، اللفظ الواحد يدل على المعنى الواحد هذا هو الأصل .

ولكن الكلام قد يخرج عن هذا الأصل فترى صورا كثيرة من التعدد ، كأن يتعدد اللفظ والمعنى واحد ، أو يتعدد المعنى واللفظ واحد ، ولهذا صور كثيرة منها :

(١) الترادف :

اختلاف اللفظ وإتفاق المعنى وقد مثل له بكل من سيف وغضب وليث وأسد ، وابن فارس يرى أن في نحو السيف والغضب والمهند والحسام ، يرى أن الأسم واحد ، أما الباقى فهو من قبيل الصفات والألقاب ولذلك قال على مذهبنا في أن كل واحد منها فيه ما ليس فى الآخر من معنى وفائدة .

ويقول ابن فارس مشيرا إلى رأى لغيره ، وقد خالف في ذلك قوم ، فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها

فإنها ترجع إلى معنى واحد ، وذلك قولنا سيف وغضب وحسام (٥٢)

وخلاصة القول :أن هناك خلافا بين العلماء فى وقوع الترادف فى اللغة العربية

فمنهم من يقول بوقوعه سواء أكان الواضع واحدا أم متعدد لأنه فى رأيهم لو كان فى كل لفظة معنى غير الأخرى لما أمكن أن يعبر عن الشئ بالشئ (٥٣) ويقول ابن خالويه وهو من أصحاب هذا المذهب : جمعت للأسد خمسمائة اسم ، وللحية مأمين (٥٤) كما أنه يحفظ للسيف خمسين اسما .

ب ـ ومنهم من ينكر وقوع الترادف كابن فارس وأبى على الفارسى وغيرها يقول التاج السبكى :

---

(٥٢) الصاحبى ١١٥

(٥٣) المزهر ١/٤٠٤

(٥٤) السابق ٣٢٥

ذهب بعض الناس إلى إنكار المترادف فى اللغة العربية ، وزعم ان كما ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات التى تتباين بالصفات (٥٥) ويقول ابن فارس : يسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام والذى نقوله فى هذا أن الاسم واحد وهو السيف وما بعده صفات . ومنهنا أن كل صفة منها معناها غير معنى الأخرى (٥٦) هذا وللمحدثين آراء متباينة فى الترادف بين مؤيد ومعارض (٥٧)

(٢) المشترك : وهو ما عبر عنه باتفاق اللفظ واختلاف المعنى كعين الماء وعين المال ... الخ ويدخل فى هذا التضاد وهو وقوع اللفظ على المعانى

---

(٥٥) سابق / ٤٠٣

(٥٦) الصحابى ١١٤

(٥٧) لمعرفة الآراء حول الترادف يرجع الى :

المزهر للسيوطى ، فى اللهجات العربية ١٧٤ وما بعدها د : ابراهيم أنيس ط ٦ والوجيز فى فقه اللغة ٣٨٠ وما بعدها بحمد الأطلاكى ، فصول فى فقه اللغة ٣٢١ ومعدها د : رمضان عبد التواب ، رسالتنا (الدكتوراه) ابو العباس ثعلب العالم اللغوى مخطوطة كليه اللغة العربية بالقاهرة

المتضـــادة [٥٨] أو هـو الكلمـــات التـــى تـــدل علـــى معنييـن متضـــادين بلفـــظ واحـــد كالجـــون للأســـود والأبيض وللعلماء فـــى هـذا النـوع مـن الكلمـات تبـاين فـى الآراء فمـن قـائل بوقوعـها وعدهـا مـن مـألوف الظواهـر اللغويـة ، وذكـر لـها مـن الأسـباب والشـواهد الكثـير وعلـى رأس هـؤلاء الأصمعـى وأبـو عبيـدة وأبـو حـاتم السجسـتانى وابـن السـكيت وقطـر ، وابـن الأنبـارى وابـن فارس ،ومنـهم مـن أنكرهـا إنكـار عنيفـا وأبطالـها إبطـالا تامـا وأشـهر مـن قـال بذلـك ابـن ورسـتوية الـذى ألـف كتـاب أبطـال الأضـداد [٥٩]

يقـول بـن فـارس مشـير إلـى الرأيـين ومـن سـنن العـرب فـى الأسـماء أن يسـموا المتضـادين بأسـم واحـد نحـو " الجـون " للأسـود و" الجـون "الأبيـض وأنكـر نـاس هـذا المذهـب وأن العـرب تـأتى باسـم واحـد لشـئ وحـده وهذا ليـس بشـيء [٦٠]

---

(٥٨) الاضداد لأبن الأنبارى ٣ تحقيق محمد أبو الفضل

(٥٩) المزهر ٣٩٦١١

(٦٠) الصاحبى ١١٧/١

ويعلق محمد الأنطاكى على هذه الظاهرة قائلاً : إن التضاد أمر مسلم به فى جميع اللغات سواء فى العربية والفرنسية وغيرها (٦١)

ويرى د إبراهيم أنيس أننا حين نحلل أمثلة التضاد فى اللغة العربية ونحذف منها ما يدل على التكلف والتعسف يتضح لنا أن ما يفيد التضاد منها بمعناه العلمى الدقيق نحو عشرين كلمه فى اللغة (٦٢) وفهو ينحو إلى تضييق دائرة التضاد (٦٣)

٣ــ تقارب اللفظين كالحزم والحزن فكلاهما الارتفاع من الأرض إلا أن الحزم أرفع من الحزن ونحو الخصم والقضم ، فالخصم بالفم كله والقصم بأطراف الأسنان وهذا قريب مما سماه ابن حنى

---

(٦١) الوجيز فى فقه اللغة ٣٧٧

(٦٢) فى اللجات العربية ٢١٥

(٦٣) وحول هذه الظاهرة ينظر رسالتنا (الدكتوراة) ٢١٤ وما بعدها ، اللهجات العربية د محمد إبراهيم نجا ١١٠ ، فى اللهجات العربية د إبراهيم أنيس ٢٠٤ وما بعدها ط ٦ دلالة الألفاظ ٢٠٩ د : إبراهيم أنيس فقه اللغة محمد المبارك ١٩٨ دراسات فى اللغة العربية ٣١٥٠كما ينظر المخصص لأبن سيده ٢٥٩/١٣ ، والمزهر ٣٨٧/١ الأضداد لأبى الطيب والفروق اللغوية لأبى جلال العسكرى دور الكلمة فى اللغة ٥٨ ط ٣ ترجمة د. كمال نشر

إمساس الألفاظ أشباه المعاني فالخصم عنده الأكل الرطب والقضم للصلب اليابس [٦٤] فالأخير لا يحتاج إلى حدة وصلابه وهو ما يتناسب مع أطراف الأسنان

٤ـ اختلاف اللفظين وتقارب المعنيين نحو " مدحه " إذا كان حيا ، وأبنه إذا كان ميتا . فكلاهما ذكر للمحاسن ، إلا أن دقة اللغة العربية تفرق بين الأحياء والأموات حتى يكون السامع على وعى بما يسمع ، والمتكلم على معرفة بما يقول فشتان بين حديث عن ميت وحديث عن حى حتى ولو كان الموضوع واحداً .

٥ـ تقارب اللفظين واختلاف المعنيين نحو " حرج " إذا وقع فى الحرج و " نخَرج " إذا تباعد عن الحرج وكذلك " أثم " فأثم : وقع فى الأثم . و " نأثم " تجنب الأسم وتباعد [٦٥] ومثل هذا يدل على ثراء اللغة العربية وأنها تملك الكثير من الوسائل سواء أكان ذلك لفعل الشئ أو نفيه ومثل هذا يؤجر فى لغة أخرى.

---

(٦٤) الخصائص ١/٦١٥٧ ـ

(٦٥)انظر اللسان مادة أثم ومفرد الراغب ٦٣

باب القلب [٦٦]

ومن سنن العرب القلب وذلك يكون فى الكلمة ويكون فى القصة .

فأما الكلمة فقولهم جذب وجبذ وبكل ولبك وهو كثير وقد صنفه علماء اللغة .

وليس من هذا فيما أظن من كتاب الله جل ثناؤه – شئ وأما الذى فى غير الكلمات فقولهم :

كما عُصب العلباء بالعودة [٦٧] وقولهم : كأن لون أرضه سماؤه وبمعنى كأن لون سمائه من غبرتها لون أرضه

ويقولون: أدخلت الخاتم فى أصبعى .[٦٨]

حسرت كفى عن السريال ..... وإنما حسر السريال عن كفه .

---

(٦٦) الصحابى ٣٢٩ وقد سماه ابن جنى الأصلين بتقاربان فى التركيب بالتقديم والتأخير والخصائص ٢/٦٩

(٦٧) الوجه أن يقال : كما عصب الصوف بالعلباء والمعصوب : المشدود . يقال كل شد عصب مفردات الراغب ٥٦٨

(٦٨) مثل هذا يدخل فى القلب البلاغى

ومنه قوله جل ثناؤه ﴿ وحرمنا عليه المواضع من قبل ﴾ (٦٩)

ومعلوم أن التحريم لا يقع إلا على من يلزمه الأمر والنهى ، وإذا كان كذا فالمعنى : وحرمنا على المراضع أن ترضعه .ووجه تحريم ارضاعه عليهن أن لا يقبل إرضاعهن حتى يرد إلى أمه .

التعليق :

يصدر ابن فارس هذا الباب بقوله ومن سنن العرب وقد تكررت هذه العبارة كثيرا فى بداية العديد من الأبواب التى عقدها فى هذا الكتاب ولا غرابة فى هذا فعنوان كتابه يحمل هذه العبارة ، إذ هو الصحابى فى فقه اللغة العربية وسنن العرب فى كلامها .

ويقصد بتلك العبارة أن هذا من عادة العرب وطرقهم فى كلامهم وليس شيئا شاذا أو غريبا أو دخيلا وإنما هو أمر شائع بينهم وفاش فى أساليبهم وأحاديثهم وهو يبين أن القلب أنواع منه ما

---

(٦٩) سورة القصص الآية ١٢

يتعلق بالكلمة من حيث الترتيب بين حروفها بالتقديم والتأخير مع إتحاد الأدلة نحو استدمى غرمه واستدامه إذا رفق به ويسمى القلب المكانى وهو غير القلب الصرفى الذى هو إبدال أحرف العلة والهمزة بعضها من بعض فهو تصيير حرف مكان حرف بالتقديم والتأخير وقد جاء فيه شئ كثير (٧٠) وذكر ابن دريد أمثلة كثيرة له فى الجمهرة (٧١)

وكذلك الأزهرى فى تهذيب اللغة ، والجوهرى فى الصحاح ، والفارابى فى ديوان الأدب ويعد القلب نوعا من الترادف لأن الكلمتين يدلان على معنى واحد وقد تجنب ابن جنى تسميته بالقلب حتى لا يلتبس بالأبدال الصرفى الذى يكون فى حروف معينة وإنما أطلق عليه باب الأصلين يتقاربان فى التركيب بالتقديم والتأخير (٧٢)

---

(٧٠) الهمع ٢/٢٢٤

(٧١) الجمهرة ٣/٤٣

(٧٢) الخصائص ٢/٩٦

وابن جنى يشرط لوقوع القلب أن يكون بين لفظين لا بين مادتين ولذلك فعنده أن كل لفظين أمكن أن يكون كل لفظ منها مادة مستقلة لم يحكم فيها بالقلب وإلا فهما مقلوبان .

ويبين ابن جنى طريقة معرفة الأصالة والفرعية بالتصرف فاللفظ الأكثر تصرفا هو الأصل .

أما إذا تساوى اللفظان فى التصرف فكل منهما أصل ولا وجه لتفضيل أحدهما على الآخر .

ولكن ابن فارس ليس فى كلامه ما يشعر بهذا الشرط كما أنه يفهم من كلامه أن يكون فى بيئة واحدة إذ جعله من سنن العرب .

أما عن سبب وقوع القلب : فيعلل علماء اللغة المحدثون بأن ذلك يعود إلى شيئين

الأول : ذهنى وهو ان الإنسان حين يتحدث ويكون مشغولا ذهنيا قد تسبق الحروف بعضها .

الثـــانى : ســـبق الحـــروف وتصارعـــها علـــى اللســـان مما يترتب عليـــه تقديـــم بعـــض الحـــروف علـــى بعـــض وقـــد يشـــيع هـــذا الخطـــأ ويجـــد مـــن يحاكيـــه ، وبـــدأ ينتشـــر فـــى البيئة اللغويـــة الواحـــدة

ويلاحـــظ أن الصغـــار فـــى مرحلـــة تعلـــم الفقـــة يخـــتزن الواحد منـــهم بعـــض الألفـــاظ لتـــدل علـــى معـــان معينـــة فـــإذا إســـتعمل هـــذه الألفـــاظ المخزونـــة ربمـــا يغفـــل عـــن ترتيبـــها فيسمعها الكبـــار .

وبـــدلا مـــن إصلاحـــها قـــد يضحكـــون فيظـــن الصغـــير أن هـــذا النطـــق صحيـــح ويســـتمر عليـــه ، وربمـــا حاكـــاه غيره إعتقادا منه أنـــه هـــو الصـــواب .

هذا وقـــد أشـــار ابـــن فـــارس إلـــى أنـــواع أخـــرى مـــن القلب وهى مـــا تكـــون فـــى غـــير الكلمـــات وهـــى إلـــى علـــم البلاغة أقرب . وهنـــاك مـــن علمـــاء اللغـــة مـــن ينكـــر وقـــوع القلـــب كـــابن درســـتوية (٧٣)

---

(٧٣) التطور النحوى ٣٥ برجسترا سر ، العربية خصائصها وسماتها ٣١٥ د . عبد الغفار حامد هلال جـ ٤١

التطوروالتاريخى ١٠٩ د. إبراهيم السمرائى ط ٣ وابن درستويه ٩٦ للجبورى

باب الإبدال

يقول ابن فارس : ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض ويقولون مدحه ومدهه وفرس ورفل و رفن(سابع الذيل).

وهو كثير مشهور قد ألف العلماء فيه فأما ما جاء فى كتاب الله جل ثناؤه فقوله جل ثناؤه ﴿ فانفلق فكان كل فرق ﴾ (٧٤)

فاللام والراء يتعاقبان كما تقول العرب : فلق الصبح وفرقه

وذكر عن الخليل ولم أسمعه سماعا أنه قال فى قوله جل ثناؤه ﴿ فجاسوا ﴾ (٧٥) إنما أراد فحاسوا فقامت الجيم مكان الحاء وما أحسب الخليل قال هذا ولا أحقه عنه (٧٦)

---

(٧٤) سورة الشعراء الآية ٦٣

(٧٥) سورة الإسراء ٥

(٧٦) الصاحبى ٣٣٣

التعليـــق :

كما جعـــل بـــن فـــارس القلـــب مـــن ســـنن العـــرب جعـــل الإبدال كذلـــك والإبـــدال يعنـــى إقامـــة حـــرف مقـــام آخـــر [٧٧] مـــع ملاحظـــة أن البـــدل والمبـــدل منـــه باقيـــان وهـــو بـــــهذا يختلـــف عـــن الإبـــدال عنـــد الصرفييـــن فعندهـــم أى الصرفييـــن المبـــدل منـــه ليـــس لـــه وجـــود والموجـــود هـــو البـــدل فقـــط فمثـــلا لـــو قلنـــا اصطـــبر علـــى وزن افتعـــل لا يوجد اصتـــبر .

ومـــن الفـــروق بيـــن الإبـــدال اللغـــوى والصرفـــى أن الأول يقع فى جميـــع الحـــروف لقـــول أبـــو حيـــان فـــى شـــرح التسهيل ، قـــال شـــيخنا الأســـتاذ أبـــو الحســـن بـــن الضـــائع ، قلما نجد حرفا إلا وقد جـــاء فيـــه البـــدل ولـــو نـــادرا . [٧٨]

أمـــا الإبـــدال الصرفـــى فـــلا يقـــع إلا فـــى حـــروف معينة هـــى طـــال يـــوم أنجدتـــه ويقـــول ابـــن فـــارس إنـــه أى الإبدال اللغـــوى كثـــير ومشـــهور ولـــذا فقـــد ألـــف فيـــه كثـــير

---

(٧٧) شرح المفصل ١٠ ، ٧ وأنظر شرح امكافيه ١٩٣/٣ حاشية الصبان على الأشمونى ٤٧/٤

(٧٨) المزهر ٤٦١/١

من العلماء ومنهم ابن السكيت (٧٩) وأبو الطيب اللغوى (٨٠)

ويضرب ابن فارس الأمثلة لهذه الظاهرة من كلام العرب ، ومن القرآن الكريم ، والمثال الأول تعاقبت فيه الحاء والهاء وكلاهما من حروف الحلق .

والمثالان الآخر تعاقبت فيها اللام والراء والنون وبينهما علاقة واضحة فى المخرج والصفات ، أما المثال الأخير فى الأية الكريمة والذى نسب القول فيه إلى الخليل فالتعاقب فيه بين الجيم والحاء، وبينهما تباعد فى المخرج فالجيم من وسط اللسان والحاء من الحلق ، ولذلك ينفى أن يكون الخليل قال هذا نظرا لعدم وجود علاقة صوتية بينهما . وعدم وجود علاقة

---

(٧٩) وهو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق عرف بابن السكيت من أعلم بابن السكيت من أعلم الناس باللغة والشعر ، رواية ثقة له ما يزيد على ثلاثين مؤلفات ٢٤٤ * ترجمة فى : تاريخ بغداد ٢٧٣ /١٤ معجم الأدباء ٥/٢٠ الفهرست ٧٢ وفيات الأعيان ٢/٣٠٩ بغية الوعاء ٤٣٩/٢

(٨٠) هو عبد الواحد بن على ، له كتاب الأبدال وقد حققه عز الدين التنوخى . دمشق ١٩٦١

ليس كافيا فى نفى نسبة القول إلى الخليل خاصة وأنه فرئ" فجاسوا بالحاء "(٨١)

هذا وقد عقد ابن جنى لهذا بابا أسماه باب فى الحرفين يستعمل أحدهما مكان صاحبه (٨٢)

ويلاحظ أنه لم يسم هذا إبدالا صراحة لأن الإبدال أعم من ذلك حيث إنه يشمل الحركات أيضا ، وهذه دقة من ابن جنى فى التعبير كما أن الأمثلة التى ساقها مما تآخت وتقاربت مخرجا واشتركت فى كثير من الصفات ولعل هذا هو السبب فى قوله " الحرفين المتقاربين " غير أنه يشترط لوقوع الإبدال أو ألا يكون الحرفان أصليين كل واحد منهما قائم برأسه فإن كانا كذلك فهما من قبيل اختلاف اللهجات " أفلست بأن تجعل أحدهما أصلا لصاحبه أولى منه يحمله على ضده " (٨٣) "

---

(٨١) المحتسب ١/١٥

(٨٢) الخصائص ٢/٨٢

(٨٣) السابق

أما إذا دالة أو إذا دعت ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبة عمل بموجب الدلالة وصير إلى مقتضى الصنعة

ومفهوم كلام ابن جنى أن الكلمتين المتحدتين فى الحروف ما عدا حرفا واحدا يكونان من قبيل الإبدال إذا امكن الحكم بأصالة إحدى الكلمتين وفرعية الاخرى وذلك إذا كانت إحدى الكلمتين أكثر تصرفا أو استعمالا (٨٤)

أما إذا لم يمكن الحكم بالأصالة أو الفرعية ، وتساوت الكلمتان تصرفا واستعمالا فهما من قبيل اختلاف اللهجات غير أن هذا الحكم المبنى على الشيوع والكثرة فى التصرف تعرض لنقد شديد من اللغويين وثبت عدم صلاحيته (٨٥)

ويلاحظ على منهج ابن فارس فى عرضه لما سبق الآتى : ـ

---

(٨٤) اللهجات العربية ١٢٦ د. عبدالغفار هلال

(٨٥) انظر فقه اللغة ٢٩١٤ اللهجات العربية ٥٧ د : إبراهيم محمد نجا ، العربية خصائصها ومستقبلها ٣٢٤ د : عبد الغفار هلال

١ـ يشير غالبا إلى موقف العرب منه وأنه من سنن العرب فى كلامها .

٢ـ يعرف بالظاهرة إما بالنص أو بالتمثيل لها .

٣ـ يؤكد ما يعرض له بالأمثلة ويستشهد كثيرا بالنصوص القرآنية

٤ـ يذكر الكثرة والشهرة فى المسائل التى تختلف الآراء حولها .

٥ـ يشير غالبا إلى أن تأليفا قام به العلماء فى الموضوعات التى تكون محلا للدراسة .

٦ـ الإيجار والإختصار من السمات العامة التى تغلب على منهج ابن فارس فى عرضه للمسائل والقضايا .

باب القول فى اللغة التى بها نزل القرآن

يروى عن ابن عباس قوله : " نزل القرآن على سبعة أحرف أو قال سبع لغات منها خمس بلغة العجز ومن هو ازن وهم الذين يقال لهم عليا هوازن وهى خمس قبائل أو أربع سعد بن بكر ، وجثم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف

قال أبو عبيد : وأحسب أفصح هؤلاء بنى سعد بن بكر ، وذلك لقول رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم " أنا أفصح العرب بيد أنى (٨٦) من قريش وأنى نشأت فى بنى سعد بن بكر " وكان مستعرضا فيهم ، وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء (٨٧) أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم .

---

(٨٦) بيد وبيد بمعنى غير " اللسان " ٦٨١٤ ، أنظر النهاية فى غريب الحديث ١٠٣/١ لابن الأثير

(٨٧) هو زبان بن العلاء بن عمار بن عبد الله التميمى المازنى ، أحد القراء السبعة كان عالما بالقراءات العربية لـ

٢٥٤ ترجمة الفهرست ٦٨ طبقات الزبيدى ٣٥فوات الوفيات ١٦٤/١وفيات الأعيان ٣٨٦/١

وعن عبد الله بن مسعود : أنه كان يستحب أن يكون الذين يكتبون المصاحف من مضر .

وقال عمر : لا يملين في مصاحفنا إلا علمان قريش وثقيف وقال عثمان : إجعلوا المملى من هذيل والكاتب من ثقيف .

وقال أبو عبيد (٨٨) : فهذا ما جاء في لغات مضر ـ وقد جاءت لغات لأهل اليمن في القرآن معروفة منها قوله : جل ثناؤه ﴿ متكئين فيها على الأرائك ﴾ (٨٩)

كنا لا ندرى ما الأرائك حتى لقينا رجلا من أهل اليمن فإخبرنا ان الأريكة عندهم : الحجلة (٩٠) فيها سرير .

---

(٨٨) هو أبو عبيد القاسم بن سلام الخزاعى ، جمع صنوفا من العلم بالقراءات والفقه والعربية والأخبار وكان دينا رعا لـ ٢٢٤ وترجمة الزبيدى ٢٠١ ، انباه الرواه ٣/٢١ ط دار الكتب الفهرست ٧١ وفيات الأعيان ٤١٨ /٤

(٨٩) سورة الكهف الآية ٣١

(٩٠) الحجلة مثل القبة وحجلة العروس معروفة وهى بيت يزين بالثياب والأسرة والستور

قال أبو عبيد فحدثنا الغزارى عن نعيم بن أبى بسطام عن أبيه عن الضحاك بن مزاحم "فى قوله تعالى ﴿ وألقى معازيره ﴾ قال ستوره وأهل اليمن يسمون الستر المعذار (٩١) وزعم الكسائى (٩٢) عن القاسم (٩٣)

بن معن فى قوله جل وعز ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ (٩٤)

أنها لغة لأزد شنوءة وهم من اليمن "

فأما قولنا :إنه ليس فى كتاب الله تعالى شئ بغير لغة العرب فلقوله تعالى ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾ (٩٥) وقال ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ (٩٦) وقرئت : " بلسن قومه " (٩٧)

---

(٩١)المراد بالمعازير هنا : الحجج راجع تفسير الطبرى ١١٥/٢٩والفخر ٢٨١/٨

(٩٢) الكسائى هو ابو الحسن على بن حمزة الأسدى المعروف بالكسائى يعد من أشهر نجاة الكوفة مات بالرى سنة ١٨٩ هـ ترجمة : طبقات الزبيدى ١٢٧ انباه الرواه ٢٥٦/٢ الفهرست ٢٩ ، وفيات الأعيان ١/٣٣٠

(٩٣) هو القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، كان ثقة ، جامعا للعلوم ، راويه للشعر ، عالما بالغريب والنحو ولى قضاء الكوفة ترجمة طبقات الزبيدى ١٣٣ ، المعارف لابن قتيبة ١٠٩ .

(٩٤) سورة البقرة الآية ٣٥

(٩٥) سورة الزخرف الآية ٢

قومه ﴾ [٩٦] وقرئت : " بلسن قومه " [٩٧] عن بن السكيت قال : حكى أبو عمرو لكل قوم لسن [٩٨] أى لغة يتكلمون بها وقال الله تعالى : ﴿ بلسان عربى مبين ﴾ [٩٩] وقال ابن عباس : ما أرسل الله من نبى إلا بلسان قومه وبعث الله محمد ﷺ بلسان العرب وادعى ناس أن فى القرآن ما ليس من لغة العرب .حتى ذكروا لغة الروم والقبط والنبط .. قال أبو عبيدة إنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول وممن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول [١٠٠]

وقال : وقد يوافق اللفظ اللفظ ويفارقه ومعناهما واحد وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها قال فمن ذلك : الإستبرق بالعربية وهو الغليظ من الديباج وهو استبره بالفارسية

---

(٩٦) سورة إبراهيم الآية ٤

(٩٧) اللسن بكسر اللام اللغة أنظر اللسان ٢٧١/١٧

(٩٨) السابق

(٩٩) سورة الشعراء الآية ١٩٥

(١٠٠) الصاحبى ٤٣ وينظر مجاز القرآن ١٧

قال : وأهل مكة يسمون المسح الذى يجعل فيه أصحاب الطعام البر : البلاس وهو بالفارسة : بلاس فأ مالوها وأعربوها فقاربت الفارسية العربية فى اللفظ والمعنى ثم ذكر أبو عبيدة البالغاء وهى الأكارع وذكر القمنجر الذى يصلح القسى ، وذكر الدست والدشت والخيم والسخت ثم قال : وذلك كله من لغات العرب وإن وافقه فى لفظه ومعناه شئ من غير لغاتهم وهذا كما قاله أبو عبيدة وقول سائر أهل اللغة أنه دخل فى كلام العرب ما ليس من لغاتهم فعلى هذا التأويل الذى تأوله أبو عبيدة (١٠١)

فأما أبو عبيد القاسم بن سلام فأخبرنى عن أبى عبيد قال : اما لغات العجم فى القرآن فإن الناس اختلفوا فيها : فروى عن ابن عباس وعن مجاهد وابن جبير وعكرمة وعطاء وغيرهم من أهل العلم : أنهم قالوا فى أحرف كثيرة أنها بلغات العجم منها : طه واليم والطور : الربانيون فيقال إنها بالسريانية

---

(١٠١) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى ،كان من أجمع الناس للعلم وأكثرهم رواية عاش ثلاثا وتسعين عاما لـ ٢٠٩ هـ ترجمته ' طبقات الزبيدى ١٧٥ ، المعارف ٢٣٦ العقد الفريد ٣/٤٧ الأغانى ٣/٢٨ الفهرست ٥٣ وفيات الأعلية ٢/١٠٥

.ومنـــها قولـــه عـــز وجـــل : الصـــراط والقســـطاس والفـــردوس .

يقـــــــال إنـــها بالروميـــــــة ومنـــها قولـــه جـــل ﴿ كمشـــكاة ﴾ و﴿ كفليـــن مـــن رحمتـــه ﴾ يقـــال إنـــها بالحبشـــية .

وقوله : ﴿ هيت لـــك يقـــال : إنـــها بالحورانيـــة .

قال : فهذا قول أهـــل العلـــم مـــن الفقـــهاء .

قال : وزعـــم أهـــل العربيـــة أن القـــرآن ليـــس فيـــه مـــن كـــلام العجـــم شـــئ ، وأنـــه كلـــه بلســـان عربـــى ، يتـــأولون قولـــه جـــل ثنـــاؤه ﴿ إنـــا جعلنـــاه قرآنـــا عربيـــا ﴾ وقولـــه ﴿ بلســـان عربـــى مبيـــن ﴾قـــال أبـــو عبيـــد والصـــواب مـــن ذلـــك عنـــدى ــ والله أعلـــم ــ مذهـــب فيـــه تصديـــق القولين جميعـــا

وذلـــك ان هـــذه الحـــروف أصولـــها عجميـــة ــ كمـــا قـــال الفقـــهاء إلا أنـــها ســـقطت إلـــى العـــرب فأعربتـــها بألسنتها وحولـــها عـــن ألفـــاظ العجـــم إلـــى ألفاظـــها فصـــارت عربية ثم نـــزل القـــرآن وقـــد اختلطـــت هـــذه الحـــروف بكـــلام

العرب . فمن قال: إنها عربية فهو صادق ومن قال : عجمية فهو صادق قال : وإنما فسرنا هذا لئلا يقدم أحد على الفقهاء فينسبهم إلى الجهل ويتوهم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله جل ثناؤه بغير إرادة الله جل عز وهم كانوا أعلم بالتأويل وأشد تعظيما للقرآن .

قال أحمد بن فارس : وليس كل من خالف قائلا فى مقالته فقد نسبه إلى الجهل وذلك أن الصدر الأول اختلفوا فى تأويل أى من القرآن الكريم فخالف بعضهم بعضا ثم خلف من بعدهم خلف فأخذ بعضهم يقول واخذ بعض يقول : حسب اجتهادهم وما دلتهم الدلالة عليه فالقول إذن ما قاله أبو عبيد وإن كان قوم من الأوائل قد ذهبوا إلى غيره .

فإن قال قائل : فما تأويل قول ابى عبيدة فقد أعظم وأكبر ؟

قيل له تأويله أنه أتى بامر عظيم وكبير وذلك ان القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شئ لتوهم

متوهم أن العـــرب عجـزت عـن الإتيـان بمثلـه لأنـه بلغـات لا يعرفونها وفى ذلـــك مـا فيـه (١٠٢)

وإذا كـان كـذا فـلا وجـه لقـول مـن يجـيز قـــراءة القـرآن الكريـم فـــى صلاتـــه بالفارســـية لأن الفارســـية ترجمـة غـير معجـزة إنمـا امـر الله جـل ثنـاؤه بقـــراءة القـرآن الكريـم العربـى المعجـز ، ولـو جـــازت القـــراءة بالترجمـة الفارسـية لكـانت كتـب التفسـير والمصنفـات فـى معانى القـرآن الكريـم بـاللفظ العربـى أولـى بجـواز الصـلاة بها وهذا لا يقولـــه أحـد .

التعليـــق : ـ

من القضايـا التـى ثـار حولـها جـدل كثـير : التعريـب بصفـة عامـة فقـد تناولـه الكثـير مـن العلمـــاء مبينيـــن قواعـده وأسسـه مثـيرين إلـى العديـد مـن الكلمـات التـــى دخلت معجم العربيـة مـن لغـات أخـرى فـهو ظـاهرة قديمـة لذا اهتـم علمـاء اللغـة بـها اهتمامـا كبـيرا ، ومـن الأمـور

---

(١٠٢) الصاحبى ٤٦

المتعلقة بالموضوع نفسه وقوع الكلمات الأعجمية فى القرآن الكريم .

وقف العلماء من ذلك موقفا متباينا ، ما بين مؤيد ورافض ، وجامع بين الأمرين .

يقول أبو عبيد القاسم بن سلام ك ٢٢٣ هـ : أما لغات العجم فى القرآن الكريم فإن الناس اختلفوا فيها روى عن ابن بن عباس ، ومجاهد ، وابن جبير ، وعكرمة وغيرهم من أهل العلم أنهم قالوا فى أحرف كثيرة أنها لغات العجم ، منها : طه واليم والطور ، والربانيون ، كما ينسب هذا القول إلى أهل العلم من الفقهاء ، وهو قول الجمهور (١٠٣)

وتتلخص حجة هذا الفريق ومن تبعهم : ـ

١ـ ما نسب إلى أبن عباس من أنه سئل عن قوله تعالى : ﴿ فرت من قسورة ﴾ (١٠٤) قل هو

---

(١٠٣) المزهر ٢٦٨/١

(١٠٤) سورة المدثر الآية ٥١

بالعربيـــة الأســـد [١٠٥] ، وبالفارســـية " شـــــار " والنبطيـــة " أربـــا " وبالحبشـــية " قســـورة " .

٢ــ مـــا جـــاء فـــى الأثـــر عـــن أبـــى ميســـرة التـــابعى قال : فى القرآن الكريـــم مـــن كـــل لســـان .

٣ــ الرســـول ﷺ بعـــث إلـــى النـــاس عامـــــة ،فلابـــد أن يكون فـــى الكتـــاب المـــنزل عليـــه مـــن لســـان كـــل قـــوم ، وإن كان أصلـــه بلغـــة قومـــه .

٤ــ القـــرآن الكريـــم نـــزل بلغـــة العـــــرب ، واحتـــوى على لغاتـــها

٥ــ اشـــتمل القـــرآن الكريـــم علـــى أعـــلام أجنبيـــة مثـــل : إســـماعيل وإبراهيـــم وجـــبريل . وهكـــــذا باتفـــاق العلمـــاء وإذا وقعـــت الأعـــلام ، فـــلا مـــــانع مـــن وقـــوع الأجنـــاس [١٠٦]

٦ــ روى عـــن ســـعد بـــن جبـــير قـــال :لـــولا نـــزل القـــرآن الكريـــم أعجميـــا وعربـــــيا ؟ فأنـــــزل الله

---

(١٠٥) البحر المحيط ٣٨٠/٨

(١٠٦) الإتقان ١٣٦/١

ومن القائلين بهذا الرأى الإمام الشافعى تـ ٢٠٤هـ ويرد على القائلين بوقوعه : ـ

١ـ ما سبق من القول بأن القرآن الكريم يدل على أنه ليس فى كتاب الله شئ إلا بلسان العرب

٢ـ لعل من قال إن فى القرآن الكريم غير لسان العرب ذهب إلى ان القرآن الكريم خاصا يجهل بعضه بعض العرب ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا ، وأكثرها ألفاظا ولا نعلمه يحيط بجمع علمه إنسان غير نبى ، ولكنه لا يذهب منه شئ على عامتها حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه (١١٥)

ومؤدى هذا أن هذه الألفاظ عربية ، ولكن لغة العربية ، غاب عن البعض العلم بعربتها وهذا لا جعلها أعجمية ولا أن هذه الألفاظ عربية ولكن لغة العربية ، غاب عن البعض العلم بعربيها وهذا لا يجعلها أعجمية ، ولا يذهب بعربيها ، وليس هذا بقريب ، فقد خفى عن أبن عباس معنى ﴿ فاطر ﴾ .

---

(١١٥) الرسالة ٤١

(١١٩) ومن هذا عند أهل مكة المسح الذى يجعل فيه أصحاب الطعام البر يسمونه البلاس وهى بالفارسية يلاس (١٢٠) ويبدو أن القول بالتوافق بين اللغات أمر عرفه اللغويون الأوائل يدل على ذلك ما يقوله الخليل :ليس فى شئ من الالسن ظاء غير العربية ، ولا من لسان إلا التنور فيه تنور (١٢١)

وقد أشار إلى ذلك ابن جنى (١٢٢) وقد عقد الثعالبى فصلا فى أسماء قائمة فى لغتى العرب والفرس على لفظ واحد ، ذكر فيه (٢٨٥) إسما (١٢٣) أما أبو عبيد القاسم فيرى صواب المذهبين ويقول : هؤلاء مشيرا إلى القائلين بوقوع الأعجمي أعلم بالتأويل من أبى عبيدة ولكنهم ذهبوا مذهب وذهب هو

---

(١١٩) مجاز القرآن الكريم ١/١٧١ ، وينظر الزينة ١/١٣٨ وفى المعرب ٤/١٠٨ تحقيق د . ف عبد الرحيم در القلم " إستبرق " أصله "استفره " وقال ابن دريد " استروة ".

(١٢٠) المزهر ٢/٢٦٦

(١٢١) فقه اللغة وسر العربية للثعالبى

(١٢٢) الخصائص ٣/٢٨٥

(١٢٣) فى المزهر : ثم نزل القرآن الكريم وقد إختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال أنها عربية صادق ومن قال أنها أعجمية فهو صادق ٢/٢٦٩

إلى غيره وكلاهما مصيب إن شاء الله ، ويوضح ذلك بأن هذه الألفاظ فى الأصل بغير لسان العرب ، فقالوا أولئك على الأصل ثم لفظت به العرب بألسنتها فعربته فصار عربيا بتعريبها إياه (١٢٤) فهى عربية فى الحال ، أعجمية فى الأصل فهذا القول يصدق على الفريقين جميعا (١٢٥)

يعلق أبو عبيد على هذا قائلا : وإنما فسرنا هذا ، لئلا يقدم أحد على الفقهاء فينسبهم إلى الجهل ويتوهم عليهم إنهم أقدموا على كتاب الله جل ثناؤه بغير ما أراد الله عز وجل وهم كانوا أعلم بالتأويل وأشد تعظيما للقرآن الكريم (١٢٦) رحم الله أبا عبيد ، أنها أخلاق العلماء .

---

(١٢٤) فى المزهر : ثم أنزل القرآن الكريم وقد إختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال أنها عربية صادق ومن قال إنها أعجمية فهو صادق ٢٦٩/٢

(١٢٥) المعرب للجواليقى ٩٢ تفسير الكشاف سورة الزمر ، والجمهرة ٢٥٨/٢ درسات فى فقه اللغة ٣١٧ صبحى الصالح جـ ٣

(١٢٦) الصاحبى ٤٦ علق بذهن د : / محمد عبد العزيز حسن أن العبارة السابقة لأبن فارس ، وهى فى الواقع نقل عن أبى عبيد ' التعريب بين القديم والحديث ' ٤٦

ولنا أن نتسائل : ما موقف ابن فارس حيال هذه الأراء ؟

أنه يرى رأى أبى عبيد ، فهو فى نظرنا ـ يساير الواقع ، ويبتعد عن الشطط فى فالقرآن الكريم أنزل والعرب يتحدثون لغة ، ومن الطبيعى أن تتبادل اللغات الكلمات فيما بينها ، بعد أن تخضعها لقوالبها فى كثير من الأحوال ، وتجربها على سننها فما حدث من تبادل وافتراض كان سابقا على نزول القرآن الكريم ومن الوقت نفسه كان مستعملا لدى العرب ، يجرى على ألسنتهم فى اصقاعهم المختلفة وأمكنتهم البعيدة والقريبة على السواء .

يقول ابن فارس : القول عندى ما قال أبو عبيد ، وإن كان قوم من الأوائل قد ذهبوا إلى غيره (١٢٧) لكن أبا عبيد قبل ان يصدر هذا الحكم يذكر من العبارات ما يدل على نضوج الفكر ، ورحابه الصدر ، وسعة وسعة الأفق ، وسمو الخلق ، يقول :

---

(١٢٧) الصحابى ٤٦

بمثله ، لأنه أتى بلغات لا يعرفونها وفى ذلك ما فيه وفى تقديرى أن ابن فارس يريد أن ينفى الحرج وهو منفى ـ عن اللغة العربية لو أنها عجزت عن الإتيان بالألفاظ التى قيل أنها أعجمية فهو يرى فى العربية أفضل اللغات (١٢٩) ثم يختم ابن فارس الحديث ببيان حكم شرعى متصل بالموضوع ذاته ، وهو هل تجوز القراءة فى الصلاة بغير العربية ؟

الإجابة لا والعلة فى ذلك يوضحها بقوله : لأن الفارسية ترجمة غير معجزة ، وإنما أمر الله بقراءة القرآن المعجز ولو جازت القراءة بالترجمة الفارسية لكاتب كتب التفسير والمصنفات فى معانى القرآن الكريم باللفظ العربى أولى بجواز الصلاة بها وهذا لا يقوله أحد (١٣٠)

هذا وقد عرض المفسرون لموضوع وقوع اللفظ غير العربى فى القرآن الكريم فالطبرى لا يرتضى هذا ويحمله حملة قوية على القائلين بوقوعه ، مع أنه لا

---

(١٢٩) الصحابى ١٦

(١٣٠) الصحابى للهجات العربية د : / عبد الغفار هلال ٩٨ط٢

ينكر ما جاء عن ابن عباس غيره إلا أنه يفسره بأنه من قبيل إتفاق للغات ، فعبارة : فيه من كل لسان تعنى عنده : فيه من كل لسان إتفق فيه لفظ العرب ، ولفظ غيرها من الأمم التى تنطق به بمعنى أن هناك ألفاظ استعملتها العرب ، وهذه الألفاظ نفسها مما إستعملته الفرس او الروم أو الحبشى على وجه اتفاق اللغات استعمل لفظ واحد بمعنى واحد لا على جهة انفراد الكلمة من القرآن بأنها فارسية غير عربية أو رومية غير عربية (١٣١)

أما ابن عطية فلم يرتض ما ذهب إليه الطبرى ويقول إن القاعدة والعقيدة هى أن القرآن الكريم بلسان عربى مبين ، فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها إلا من لسان آخر فأما هذه الألفاظ وما جرى مجراها فإنه كان للعرب العاربة التى نزل القرآن الكريم بلسانها بعض مخالفة لسائر الأمم بتجارات وبرحلتى قريش ... فعلقت العرب بهذا كله

---

(١٣١) تفسير الطبرى ١٦/١

ألفاظ أعجمية ، غيرت بعضها بالنقص من حروف. وجرت الى تخفيف ثقل العجمه (١٣٢)

ولا يخرج ما يرده ابن عطية عما سبق من ر مثل هذه الألفاظ فى الأصل أعجمية لكنها عربت واستعملتها العرب ، فصارت بهذا الوجه عربية ، وكنه لا يؤيد ما قال به ابن جرير الطبرى من اتفاق اللغات وإن كان قليلا شاذا .

وقد عرض بعض المحدثين لهذا الموضوع ومنهم الشيخ احمد شاكر ، فارتضى مذهب أى عبيدة والإمام الشافعى يقول : العرب أمة من أقدم الأمم ، ولغتها من أقدم اللغات وجودا ...

وقد ذهب منها الشيء الكثير .بذهاب مدنيتهم الأولى قبل التاريخ فلعل الألفاظ القرآنية التى يظن أن أصلها ليس من لسان العرب ، ولا يعرف مصدر اشتقاقها لعله من بعض ما فقد أصله (١٣٣)

---

(١٣٢) مقدمتان فى علوم القرآن الكريم ٢٧٦

(١٣٣) مقدمة المعرب ١٨ تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر

المحتويات

مقدمة بقلم عميد الكلية

أ.د. محمد إبراهيم البنا

أولا قسم التفسير

الاسرائيليات وتطورها فى كتب التفسير

أ.د. البدرى عاطف أبو حربة ١

نشأة علم التفسير وتطوره

د. محمد زين العابدين مصطفى ٨٧

ثانياً قسم العقيدة

الأخلاق الإسلامية وأثرها على الفرد والمجتمع

د.محمد حسن مهدى ١٤٣

حسن التعليل فى البلاغة العربية

د.فاطمة محمد محمد المهدى ٤٦٤

من الأسرار البلاغية لأسلوب الأمر فى سورة البقرة

د. آمنة على عثمان ٥٢١

سادسا : قسم اللغويات

من كنوز العربية الصاحبى فى فقه اللغة

د. السيد محمد محسب ٥٨٩

****

جامعة الأزهر

مجلة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

بسوهاج

العدد الثالث عشر

١٤١٨ هـ — ١٩٩٨م

مطبعة دار السلام

١٨ شارع عمار بن ياسر أمام نادى المعلمين بسوهاج